دمعة حزن على ضريح المناضل الكبير

ياسر عرفات

شعر/ يحيى على زبارة

عـرفـات رمـز بطولة الأحـرار — اليـوم أضحى في حمى الأقدار
رمـز المقـاومـة التي قـد أذهلت — أعتى جيوش الارض بالاحجار
عـرفـات مـجـد ناصع مـتـألق — بسنى النضال على مدى الادهار
أدى رسـالتـه بكل شـجـاعـة — عظمى كـأعظم قـائد مـغـوار
في ثلث قـرن لم يفـرط لحظة — في حـقـه عـبـر اتخـاذ قـرار
عـرفـات ذاك العـبـقـري بفكره — وكـفـاحـه المتـواصل القـهـار
قـد أبـهـر الـتـاريخ والدنيـا بما — أبداه من عـــزم ومن إصـــرار
بالله قل لي هل رأيت مناضـلا — حـرا كـمـثـل نضـاله الجـبـار
وبرغم أنف الاحـتـلال فـإنه — قـد كـان دومـا في خطوط النار
ولكم دعـا للسلم لكن العـدا — لم يجنحـوا أبداً لأي حـوار
أحيا انتفاضة شعبه متمسكا — بالحق أعظم حـافـز وشـعـار
واليـوم قـد ولى وغـاب مكللا — بالمجـد والعليـاء والإكـبـار
ولسوف يبـقى مجده مـتـألقـا — كـتـألق الاضـواء في الأقـمـار
إن غاب عن سلك السياسة شخصه — فـبـذكـره يشـدو فم الإعـصـار
مـاغـاب من ضحى طوال حـيـاته — عن شـعـبـه من دونما اسـتـكبار
هذي مـــواقـــفـــه تدل بأنه — من أعظم الزعمـاء في الامـصـار
قـد أجـمـعت كل الفـصـائل انه — مـن دونـمـا شك ابـو الـثـــوار
وبأنه في كف كل مـــجـــاهـد — حـــرا كـأمـضى صـارم بتـار
قد كـان يشـحـذ شـعـبـه بخطابه — وكـفـاحـه الحـيـوي كـالـتـيـار
ولطالما الموسـاد حـاول قـتـله — بـحـقـارة الجـبـناء واسـتـهـتـار
قـد أرهبـوه بالحـصـار ولم يلن — أبداً لإرهـاب وأي حـــصـــار
حـاكت له اسـرائيل كل وسـيلة — حـتـى يسـيـر بركـبـهـا المكار
لكنه بالحق اقـــوى دائمـــا — من جـيـشـهـا المتـجـبـر الجـرار
إيمانه بالله كـــان يشـــده — لإدانة الأعـداء بـاسـتـمـرار
إن الصـــهـــاينة اللئـام لموته — يتـراقـصـون بفـرحـة وفـخـار
لايسـتـحـون فـهـذه اخـلاقـهم — وطـبـيـعـة السـفـهـاء والاشرار
وكـأنهم قـد حـقـقـوا بغـيـابه — أقـصـى المراد وغـايـة الأوطار
ونسوا بأن الموت حـتـمـاً قـادم — لجـمـيـعـهم من دون أي فـرار
يا أيـهـا العـرب الكرام كـفـاكم — نومـا أحـاط القـدس بالأخطار
هذي فلسطين الابـيـة أصـبـحـت — تـغـلي كـــغـلي المرجل الفـــوار
المسجد الأقصى يصرخ شاكيا — ومناديا يامـعـــشـر الأنصـار
شـارون دنس طـهـره بوقـاحـة — وتلطخت أعـمـالـه بـالـعـار
والمسلمـــون يرون ذلك دونما — يبدون غير الشجب في الأخبار
وكـأنما شلت إرادة جـيـشـهـم — وأصـاب عـزتهم أشـد دمـار
وكـأنهم في ضـعـفـهم وخنوعـهم — كـالشاة تسلخـهـا يد الجـزار
وهم الذين إذا توحـد شـملهم — واسـتـيـقـظوا أقـوى من الكفـار
لكنهم تركـوا مـبـادئ دينهم — وتـفـاخـروا بـالزيف والأوزار
فاجتاحهم داء التخلف والشقاء — مثل اجتياح عواصف الإعصار
واليـوم تزداد الحـيـاة قـتـامـة — من بـعـد أن ولى أبو عـمـار
هذي مـلايين النفـوس تقطعت — حـزنا عليـه بسـائر الأقطار
فـالله يسكنه فـسـيح جنانه — ويثـيـبـه الـفـردوس كـالأبرار

في حوار معه قبل رحيله .. الفيلسوف والمفكر العالمي جاك دريدا:

الكلمة بذاتها لا تكفي .. وعلى الكاتب أن يتحمل مسؤولية ما يكتب

حاوره /نيخل بادغاونكار - ترجمة / خالدة حامد

■ الفيلسوف والمفكر الفرنسي الأصل جاك دريدا صاحب نظرية التفكيك في الفكر والنقد ، ويعد من أحد أعلام الفلسفة في العصر الحديث ، وله الكثير من الآراء والطروحات التي لاقت بشأنها جدلاً كبيراً، في هذا الحوار الذي أجري معه قبل وفاته مؤخراً يؤكد دريدا أن ثمة أخلاقاً للتفكيك لا بالمعنى، المعتاد، وأنه حينما تتحمل مسؤوليتك بوصفك وريثاً لن تكون ببساطة محض خاضع للميراث، ولكن عليك أن تمده بالحياة وتديمه، فإلى نص الحوار:

● دعني أبدأ حـواري مـعـك بالسـؤال الآتي : مـا الذي تبـقى من كلمـة (فلسـفـة) اليـوم على النحـو الذي فـهـمـه الإغريق قبل حوالي ثلاثة آلاف عام بأنها حب الحكمـة . هل ثمـة " حب " أو " حكمة " اليوم ؟

– حـسناً، حـيـنـمـا نـقـوم بتـدريس الفلسـفـة في فرنسـا بداية كل عـام دراسي، نـتـذكـر طـبـعـاً تـأثيل هذا المصطلح. نتذكر أن "فيلوسوفيا" philosophiaتعني باللغة الإغريقية الحب أو الصـداقـة (philo) نحـو الحكمة (Sophia) لكنها تعني أيضاً موهبة أو مهارة المعرفة. ولهذا فإننا نسأل عندئذ ما المقصود بـ"Phili" ، مـا الحب أو الصداقـة أو الرغبـة؟ وبهذه الطريقة نبدأ بتعريف الفلسفة على أساس هذا التأثيل. وهناك عدد من النصـوص التي تعنى اليـوم بالحب والصداقة ، وأنا شخـصـياً ألفت كتاباً عن سياسة الصداقة. كان دولوز مهتماً بالصداقة، وكذا الحال مع فـوكـو. ولعليّ أقـر بأننا في الحـقـيـقـة غـالـبـاً مـا نُضـيـع هذا التـعـريف التأثيلي للفلسـفـة: فلكل فيلسوف تعريفـه الخاص للفلسفة، وهذه إحدى السمات التقليدية عندما يعمد الفلاسفة إلى مناقشة ماهية الفلسفة ؛ مـتـى وأين بدأت؟ ما أصل الفلسـفـة؟ ولا تسـتـطـيع قطعـاً أن تعتمد على كلمة واحدة في تعريف مفهوم الفلسفة .

الكلمـة بذاتهـا لـيـست كـافـيـة . وحـيـنـمـا نـقـر بأن الفلسـفـة اسم إغريقي وأن الفلسفة بهذه الصورة ولدت في أثينا ، سـتـجـد عندئذ تأويلات كثيرة جداً لما حدث آنذاك ؛ أين وقعت ، ولماذا ، وهل أن كل تفكير بعد فلسفة ؟ مثلما تعرف فقد زعم هيدغر أنه كان هناك تفكير إغريقي قبل الفلسفة يقول بأن الفلسفة كانت تضع حداً لشيء ما ؛ لفكر بارمنيدس ، مثلاً ، أو هيراقليطس . ولهذا تعد الفلسفة ، ضمن أحد أوجهها ، بداية نهاية التفكير ...

● كنت طوال سنوات كـثـيـرة تدافع عن الرأي القـائـل بأن التفكيك لا يعدّ مصطلحاً سلبياً في جوهره ، وأن لا ينبغي فهمه بوصفه نقداً أو تدميراً . بل ذكرت في حـوار لك عـام ١٩٨٢ نُشـر فيما بعد في صحيفة اللوموند بأن التـفكيك مـصـحـوب بالحب دائمـــاً . هلاّ علّقتَ على هذا " الحب " . وهل هو الحب نفـسـه الذي تشير له مفردة " حب " في "philia"

– هذا الحب يعني رغـبـة مـؤكـدة نحـو الآخـر ؛ أن تحـتـرم الآخـر، أن تهـتـم بالآخـر، لا أن تحطم آخـرية الآخر، وهذا هو التأكيد الأولي، وإن طرحت أنت أسئلتك لاحقاً بسبب هذا الحب. ثمة سلبية بالتفكيك، ولا أنكر ذلك. عليك أن تنتقد، أن تطرح أسئلة، أن تتحدى، وأن تعارض أحياناً. ما ذكرته هو أن التفكيك بالنهاية ليس سلبياً مع أن السلبية تعمل فيه ولا ريب. فإنك الآن كي تنتقد، كي تنفي، كي تنكر، عليك أن تقول " نعم " أولاً. وعندما تخـاطب الآخـر، وإن تطلب الأمـر منك أن تعـارض الآخـر، فـإن عليك أن تقـوم بوعـد مـا ؛ أي أن تخـاطب الآخـر بوصـفـه آخـر، لا أن تنـتـقـص آخـرية الآخـر، لا أن تأخـذ باعـتـبـارك فـرديـة الآخـر. هذا تـوكـيـد متعذر اختزاله، إنها الأخلاق العامة إن شئت القول. ولهذا، وانطلاقاً من وجـهـة النظر هـذه، ثمـة أخـلاق للتفكيك لا بالمعنى المعـتـاد، بل ثمة توكيد. مثلما تعرف فإني غالباً ما اقـتـبس عن روزنويغ أو حـتـى من لـيـفـيـانـز الذي يقـول أن الـ" نعم " ليست كبـقـيـة الكلمات، وأنك حـتـى عنـدما لا تلفظ هذه الكلمة، ثمة " نعم " ضمنية في كل لغة، بل حتى عندما تُضـاعـف الـ " لا "، هـنـاك " نعم ". ويحدث ذلك حتى مع هيدغر. فأنت تعـرف أن هـيـدغـر ظل يقـول، لزمن طويل بل لسنوات طويلة جـداً، بأن التفكير بدأ بالتساؤل، وأن التساؤل هو كرامة التفكير. ثم وفي يوم ما، ومن دون أن يتناقض مع تـصـريحـه هذا، قـال " نعم "، لكن هناك شـيـئـاً أكـثـر أصالة من التساؤل، من هذه العبادة للتفكير، وكان ذلك ما أسماه هـو بـالـ zusage الـذي يـعـنـي أن نذعن، أن نقـبل، بقـول "نعم" ؛ أي أن نؤكـد. ولهـذا فـإن هذا الـ zusage ليس سابقاً على التساؤل فحسب، بل يفترضه كل تساؤل. فلكي تطرح سؤالاً مـا عليك أولاً أن تخـبـر الآخـر بأنني أتحـدث إليك. وحـتـى عندمـا تـعـارض الآخـر أو تتحـداه، عليك أن تقول " على الأقل أنا أتحدث إليك "، " أقول نعم لكوننا مشتركين مـعـاً ". هذا مـا عنيـتـه بالحب، إنه إعـادة توكيد التوكيد نفسه.

● يرى الكثـيـر من قـرائك أن واحـدة من أهم نتـائج قـراءة أعمالك هي إدراكهم بأن النقد من موقف " خارجي " ما عاد ممكناً، وأن المرء يعـمـل دائمـاً بلغـة موروثة، ولأن الفـرد يرث اللغـة فإنه يعـمـل حـتـمـاً داخل إطار مـشـتـرك. والآن، إذا كـان المرء يسعى للتساؤل أو للإزاحة من دون السـعـي للعـودة إلى مـوقف خـارجي، ألا يجـازف المرء هنا بالوقوع في النزعة المحافظة ؟

– حـسـنـاً، أنت ترى أن كل شيء يعتمد على مفهوم " الموروث " هذا. فـعـندمـا تـرث لغـة لا يعني ذلك أنها تبرمجك بسلبية كلياً. أن ترث يعني هذه اللغة، على تحويلها، على انتقاء شيء ما. أنت لم تحصل على هيدغر بوصـفـه شـيـئـاً كـامـلاً، بل هو شيء يستدعي تأويلات وانتقاءات وردود أفعال واستجابات ومسؤولية. عندما تتحمل مسؤوليتك بوصفك وريثاً، لن تكون بـبـسـاطة مـحض خـاضـع للميراث كما أنك غير مطالب بمجرد المحافظة على هذا الميراث أو حـفـظه كـمـا هو. عليك أن تمده بالحـيـاة وتديمه، وهنا تـحـصـل سـيـرورة ؛ سيرورة انتقائية وتاويلية. ولهذا لا شك في أن هناك إغراء يدعو ببساطة إلى تكرار المواقف المحـــافظة وانتهاجها. لكن ذلك ليس ضرورياً على الإطلاق، ولعلي أقول أنه لجعل شيء جديد يحدث، عليك أن ترث، أن تكون بداخل اللغة، بداخل التراث. لن يكون بمقدورك تحويل أي شيء أو إزاحته من دون أن تكون - وبطريقة مـا - داخل التراث، من دون أن تفـهم اللغة.

● ليس ثمة اخـتـلاف من دون تكرار؟

– بالتـأكـيـد، بالتـأكـيـد، شيء من التكرار، نوع من التكرار. لكن الخيار لا يكون بين التكرار والابتكار بل بين شكـلـين من الـتـكـرار وشكـلـين من الابتكار. ولهذا أنا أعـتـقـد بوجـود أشكال خـلاّقة لاحـتـرام التراث، وأن هناك أشكال رجـعـيـة أو لا خلاّقة. لكني لا أقول أنه لغرض ابتكار شيء جديد، أو لإحداث شيء جديد، عليك أن تكـون التراث أو أن تنساه. لاقل لك شيـئـاً عن الطريقة التي أحاول فيها العمل داخل التراث الفرنسي، أنا أشعر بأني كلما فـهـمت داخل شاعر ما أو كاتب، زادت قدرتي على إعادة إنتاج ما يفعله ؛ زادت قدرتي على كتابة شيء ما، أو على الإمضاء. بمعنى آخر، أن تصادق على نص آخر يواجه النص الورائي. حـيـنـمـا أكتب عن كتّاب من مثل " جينيه "، لا أكتب مثلهم بل أحاول أن أقدم ما أعطوني إياه من أجل القيام بشيء آخر يحمل بصمتي ؛ إمضائي الذي هو ببساطة ليس خاصتي بل إمضاء شـخـص آخـر. وهذا لا يـحـدث في الفلسفة أو النظرية الأدبية فقط، بل يحـدث دائمـاً. فلكي تتـحـدث مع شخص آخر عليك أن تفهم ما يقوله الآخـر، عليك أن تتـمكن من تكراره - هذا هو المقصود بالفهم - وأن تكون قادراً على الإجابة وعلى الاستجابة. ستكون اسـتـجـابتك مـخـتـلفـة بل ستكون شـيـئـاً آخـر. وتتـضـمـن الاسـتـجـابة مـسـؤولـيـة فـهـم مـا تستجيب له. ولهذا أنا أضع ذلك كله في ضوء المسؤولية.

● أكدت أن اللغة خاضعة لـ" تكرارية " iterability معممة، بمعنى آخر أن بمقدورها الدخول في سياقات جديدة ولا مرئية ؟

□ جاك دريدا

–لديّ فكرة مـبـهـمـة عن التـأثيل السنسكريتي لمفـردة "itera" التي تعني " مـجـدداً " والشيء نفـسـه و"التكرار" و"شيء آخر" ؛ "تغيير ما".

● إذن اللغة تعيد إنتاج ذاتها (تتناسل) في سياقات جديدة، في أطر جديدة ويصير من المستحيل، بسبب ذلك، أن تحدد مدى المعاني الممكنة التي تنتجـهـا هي. والمهم أن نعرف أن التكرارية توحي بأن من غير الممكن للمرء أن يحـاول ترسيم معنى نص مـا من خـلال الإشارة إلى مقاصد مؤلفه. كثيراً مـا يـقـال هذا: هل ثمـة إمكانية لجـعـل أي مـؤلف مـسـؤولاً عن مصير كتابه ؟ بالتأكيد أنا أفكر بمناقشتك لنيتشة، لكن بعمومية أكبر أقول هل يمكن جعل مؤلف ما مسؤولاً عن التسبب بالطريقة التي يتم بها تأويل كتاباته، أو هل من الممكن تأويلها؟ هل ثمة طريقة لكاتب مـا يستطيع من خـلالـهـا، سلفـاً، أن ينظم مـدى التـأويلات الممكنة؟

–إن كنت تـتـوقـع أن تكون الإجـابة بصيـغـة " نعم " أو " لا "، فسأقول "لا". لكن إن منحتني وقتـاً أطول، سأتردد كثيراً بالإجابة. لعليّ سأقول أن على الفـيـلسـوف أو الكاتب أن يـحـاول، قطعـاً، أن يتحمل مسؤولية مـا يكتب قدر الإمكان. فمـثـلاً، ينبغي للمرء أن يكون شـديـد الحـذر من الناحـيـة السياسية وأن يحاول أن يتوقع كل النـتـائـج الممكنة التي يمكن أن يتوصل إليها الناس مما يكتب، لا أن يتحكم بها كثيراً. هذا فـرض عليك: أن تحاول تحليل كل شيء وتوقّعه. لكن ذلك مـسـتـحـيـل بالمرة. بمقدورك التـحـكم بكل شيء لأنه حـالمـا يُنشـر عـمـل مـؤكـد، أو جـملة مـؤكـدة، أو مجموعة خطابات مؤكدة، وحينما يتم اقتفاء الأثر يصير كل بعيد عن المنال، مـا وراء نطاق الـتـحـكم بل يمكن في سـيـاق مـخـتـلف أن يتم اسـتـغـلاله وإزاحـتـه والإسـاءة إليـه بطريقة تتجاوز ما عنيته أنت.

" هذا هو السؤال الذي طرحـتـه عن نيتشة حينما تطرقت أنت له. لا شك أنه كان هناك تأويل مسيء لنيتشة من النازيين. ولا ريب في أن نيتشة لم يرد ذلك، بالتـأكيد. لكن، مع ذلك، كـيـف لنا أن نفـسـر حـقـيـقـة أن الفـيلسـوف أو المفكر الوحـيـد الذي أشار له النازيون بتسـمـيـة السلف كـان نيـتـشـة ؟ لابد إذن أن يكون خطاب نيتشة مشتملاً على شيء له صلة بالنازيين. بإمكانك أن تقول ذلك وتـحـاول تحليل هذه الإمكانـيـة من دون أن تستنتج، قطعـاً، أن نيتشة نفسه كان نازياً أو أن كل شيء عند نيتشة كانت له صلة بالنازيين. لكن علينا أن نفسر حقيقة وجود نسَب مـا، جـيـنـالوجـيـا مـا. ولـهـذا فنحن جميعاً معرّضون لذلك ؛ أنا واثق أن بمقـدور بعض الناس اسـتـنـتـاج مواقف محافظة رجعية أو سلفية أو يمينـيـة مما أقـولـه لك. أنا أناضل، أبذل قصارى جهدي لأحول دون ذلك لكنـنـي أعلم أن لـيـس بمقـــدوري السيطرة عليه. يستطيع الناس أخذ جملة ما واستغلالها ...

فـلأضـرب لكَ مـثـالاً عن مـا كنت أتحدث به هذه الظهيرة: أنا بالتأكيد أفـضّل حـالـة تطور الاصطلاحـات والاختلافات في اللغة لغرض مقاومة هيمنة اللغة أو احـتكاريتها. لكنني سرعان ما أضفت إلى تصريحي هذا بأني كنت أيضاً معارضاً للقـومـية. بمعنى آخر، للامـتـلاك القومي لهـذه الرغـبـة بالاخـتـلاف. ربما قد يطيب لأحدهم الآن أن يقـول: " حسناً، أنت تفضّل الانقسامات على اللغة الكليّة، ولذا سنسـتـخـدم خطابك لصـالـح القومية أو العنف اللساني الرجعي " ومـا إلى ذلك. أنا إذن عـاجـز عن السيطرة على ذلك. لا أستطيع سوى أن أبذل قـصـارى جـهـدي، فـقط بأن أضـيـف جـملة مـا لجـملتي الأولى وأسـتـمر بالتـحـدث محـاولاً تحـيـيـد سوء الفـهـم قدر المستطاع. لكنك لا تستطيع السيطرة على كل شيء أو التـحـكم به، وأن حـقـيـقـة أنك لا تستطيع السيطرة على كل شيء لا تعني ببساطة أنك مخلوق مـتـناه وشـخـص مـحـدود، بل هي تـتـعلق ببنية اللغة ؛ بنية الأثر. إذ حالما تقـتـفي أثراً ما، يصير الأثر مستقلاً عن مصدره: أي، بنية الأثر. يصير الأثر مستقلاً عن أصله، بل حالما يتم تقـفي الأثر، فـإنه يفلت منك. لا تسـتـطـيع السيطرة على مـصـير الكـتـاب بالمرّة. أنا لا أسـتـطـيع السيطرة على مستقبل هذا الحوار معك (يضحك دريدا) ... فأنت تسجله لكنك تعمد لاحقاً إلى إعادة كتابته وإعادة تأطيره وبناء سـيـاق جديد وربما ستبدو جملتي مختلفة. ولهذا أنا أثق بك، لكني أعـتـرف أن من المستحيل السيطرة على نشر كل ما أقوله.

رحلة في تاريخ.. عاشق التاريخ : السينارست الكبير محفوظ عبد الرحمن

فشلت في الشعر والصحافة.. ونجحت في المسرح والتليفزيون

■ القاهرة / الثورة

● حالة متفردة في تاريخ الدراما التليفزيونية في مصر والعالم العربي.. فقد امتاز بقدرته على الإبحار في ذاكرة الزمن واستخراج ما فيها من كنوز عن شخصيات أثرت في الوجدان العربي في القرن الأخير... ليحفر اسمه كرائد للدراما التاريخية.. ولقد بدأت رحلته مع هذا النوع الدرامي بمسلسل «عبد الله النديم» عام ١٩٧٠ والذي قام ببطولته عبد الرحمن أبو زهرة... ثم كانت رائعته (بوابة الحلواني) التي أخرجها صديقه المخرج الراحل إبراهيم الصحن ثم فيلم «ناصر ٥٦» ومسلسل (أم كلثوم) وأخيراً (حليم) الحلم الذي أخرج النجم الكبير أحمد زكي من سجن المرض اللعين . وتوج عبد الرحمن رحلته الإبداعية المتنوعة في الأدب والسينما والمسرح والتليفزيون بحصوله على جائزة الدولة التقديرية في الفنون عام ٢٠٠٣.. وهي من المرات القليلة التي تذهب فيها جائزة لمن يستحقها... وفي السطور التالية نبحر مع « عبد الرحمن » بين فصول حياته الزاخرة نسترجع مع البدايات والمحطات المؤثرة في تكوين شخصيته الإبداعية... ولد محفوظ عبد الرحمن في الأول من ديسمبر عام ١٩٣٣ في أسرة تضم «نصف دستة» من الأبناء ، ثلاثة من الذكور ومثلهم من البنات.. وكان أكبر اخوته.. والده ضابط الشرطة محمد عبد الرحمن عرفات ، ويقول كاتبنا الكبير وهو يسترجع ذكريات الطفولة والصبا: كان والدي كثير التنقل بين المحافظات بحكم عمله لذلك لم يكن لي أصدقاء وعوضت ذلك بكثرة القراءة.. وكان في بيتنا كتب في الأدب. قرأتها في البداية للتباهي فقط ... لكن جذبتني كثيراً المجلات الصادرة في ذلك الوقت مثل مجلة الاثنين و المصور... وبدأت في تقليدها وقمت بإصدار مجلة كتبتها بالكامل وطبعت منها عدة نسخ قمت بتوزيعها على أفراد أسرتي وأقربائي ومعارفي... وتكررت تلك أكثر من مرة.. وكانت هذه بداياتي في عالم الكتابة والصحافة..

● كيف اتجهت إلى كتابة القصة؟

– في البداية اتجهت لكتابة الشعر... ولكن ذلك لم يدم طويلاً فلم أنجح لسببين... أولهما أن ذاكرتي في الحفظ سيئة والشاعر لابد أن يكون صاحب ذاكرة جيدة ، والسبب الثاني كان مستوى مدرس اللغة العربية عندما كنت طالبا في الثانوي في مدرسة بني مزار فقد كان معجباً بكتاباتي ويريد توجيهي لطريق معين في الشعر... لذلك هربت منه ووجدت نفسي في مجال القصة، وفي البداية كتبت قصصاً دون المستوى.. إلى أن جئت إلى القاهرة عام ١٩٥٥ ونشرت أول قصة في جريدة كانت تصدر وقتها واسمها «القاهرة» وكان عنوان قصتي «كلاب».. ورسمها المبدع الناشئ في ذلك الوقت صلاح جاهين..

●لماذا تخصصت في دراسة التاريخ.. وما هي الأسباب وراء ابتعادك عن مهنة الصحافة التي عشقتها منذ طفولتك؟

– لقد جاءت دراستي للتاريخ بمحض الصدفة... فلقد كنت أرغب في دراسة علم النفس والفلسفة لكن درجاتي فيها كانت ضعيفة في الثانوية العامة وفي هذه الفترة نشرت بعض أعمالي في مجلة البوليس المتميزة التي كانت تشبع هواية كثير من الأدباء في ذلك الوقت... وبعد تخرجي بدأت في العمل بالصحافة في دار الهلال... وأخذت في تجهيز أوراقي لدخول نقابة الصحفيين ولكن تبين لي أن هناك شرطاً ناقصاً لهذا لم أتمكن من أكون صحفياً... لذلك قدمت أوراقي بعدها للقوى العاملة وتم تعييني في قسم الوثائق التاريخية بوزارة الثقافة.

من المسرح إلى التليفزيون

●تنقل قلمك بين مختلف الأجناس الأدبية من القصة إلى المسرح ثم الدراما.. فما السبب في هذه التحولات؟

– الظروف هي التي وجهتني.. ومعظم الناس قد لا يصدق هذا... فأنا كما ذكرت لك بدأت بنشر قصصي مبكراً... ثم بعد ذلك اتجهت لكتابة الرواية ولكن ظل حلمي هو الكتابة للمسرح.. حتى أجيزت أول مسرحية لي في عام ١٩٦٣ وكانت فرحتي كبيرة جداً أن يعرض لي عمل مسرحي في وقت يكتب فيه عمالقة المسرح أمثال توفيق الحكيم ونعمان عاشور وسعد الدين وهبة وغيرهم... ولكن صدمت حيث ألغيت المسرحية قبل عرضها بيومين بسبب الرقابة... فاصابني الإحباط لفترة.. لكن بعد إلحاح من صديقي الراحل المخرج إبراهيم الصحن بدأت الكتابة للتليفزيون عام ١٩٦٥.. وكان أول عمل لي سهرة من إخراجه بعنوان «ليس غداً» بطولة حسن البارودي وتوفيق الدقن وماجدة الخطيب.. لكن رحلتي مع الأجناس الأدبية الأخرى استمرت ولم تتوقف..

● هل يمكن اعتبار الدراما التليفزيونية جنساً أدبياً؟

– الأدب كلمة رحبة وواسعة تستوعب أشياء كثيرة.. فإذا قلنا أن الأدب هو الإبداع المكتوب الذي يعتمد على الكلمة.. فيمكننا إذن أن نعتبر الكتابة التليفزيونية أدباً مثل المسرح والشعر.

● وهل تصلح لأن تكون ديوان العرب... مثلما كان الشعر ديوانهم في الماضي؟- المرء الآن ليس لهم ديوان... والدراما التليفزيونية لا تصلح لأن تكون ديوانهم لأنها لا تصور المجتمع العربي... نتيجة كثرة الأعمال الروائية.. ووجود الرقابة.وحينما قيل إن الشعر ديوان العرب...كان ذلك لأنه كان له دور كبير مؤثر.. وعلى الرغم من ذلك أتمنى أن تصبح يوماً الدراما التليفزيونية ديواناً للعرب.

الدراما التاريخية

●كيف اتجهت إلى كتابة الدراما التاريخية؟

– في بداية السبعينات.. أعجبت برواية الأديب الصديق أبو المعاطي أبو النجا «العودة إلى المنفى» من سيرة عبد الله النديم فقدمتها للتليفزيون وكانت أول أعمالي التاريخية وبعدها توالت الأعمال.. وتكمن الصعوبة في هذا المجال في أن الدراما التاريخية مبنية على قواعد وخطوط محددة سلفاً.. وأنا لم أتعمد الاتجاه إليها.. لكني محب للتاريخ وأجد فيه بحارا عظيمة وأستمتع بدراسته وقراءته والبحث فيه لأنه عالم آخر وفيه فرصة للتأمل والتجربة والمقارنة والغوص داخله لاستخراج حكمته.

● إلى أي شيء تستند في كتاباتك التاريخية؟

– أعتمد على كل ما هو متاح لأصل إلى ما أريد.. ومراجعي الأساسية الكتاب الجيد أولاً.. ثم كتب الدرجة الثانية... لأنها يمكن أن تحتوي معلومات لا أجدها في المصادر الأخرى... إلى جانب الصحف القديمة إن وجدت أو الوثائق المتاح الوصول إليها.. وإذا كان الحدث معاصراً أعتمد على بعض شهود العيان على الرغم من عدم ثقتي بهم كثيراً.لكن يمكن أن استوضح منهم الصورة لأصل إلى إجابات معينة.. وأنا لا أتكبر على أي مصدر لأني لا أجمع معلومات ولكني أعيش العمل فلا أكتبه إلا إذا رأيته بعيني وعايشته.

● ما هي الأسباب التي جعلتك تتحمس للكتابة عن عبد الحليم حافظ؟

– عبد الحليم مطرب يمثل عصرا بأكمله.. فهو ابن ثورة يوليو واستمر يعبر عن جيله حتى أواخر السبعينات من القرن العشرين... ونجح في التعبير بصوته عن أحداث عدة وقعت في تلك الفترة.. وهو في ذلك يشبه «أم كلثوم» ابنة ثورة ١٩١٩م والنهضة التي واكبتها.. كما أن حياة حليم رواية فنية ممتازة فيها دراما وصراع مع المرض وقصة كفاح منذ أن كان طفلاً في الملجأ إلى أن أصبح أعظم مطربي جيله.. بالإضافة إلى أن حليم مازال موجوداً بقوة على الساحة الفنية رغم أنه توفي منذ أكثر من ربع قرن إلا أنه النجم المفضل للجمهور.. وله شعبية واسعة خاصة بين الشباب.

خطوط فاصلة

● ما هي أهم المحطات الفاصلة في حياتك؟

– المحطات كثيرة ومتنوعة.. منها عام ١٩٧٦ في مهرجان دمشق عندما عرضت لي أول مسرحية كتبتها وهي (حفلة على الخازوق)... كان يوماً مهماً في حياتي لأني لمست فيه تجاوب وحب و تقدير المشاهدين .. كذلك بعد عرض فيلم «ناصر ٥٦» بقاعة المؤتمرات في افتتاح مهرجان التليفزيون لم أكن أتوقع رد الفعل خاصة أن الجمهور كان متميزاً جداً سواء من مصر والعالم العربي.. فكانت من أعذب الليالي التي شعرت فيها بحالة نادراً ما تتكرر من الوجد والتأثر ومشاعر أخرى يصعب وصفها.

● هل أبعدتك الدراما التليفزيونية عن عشقك الأول- المسرح؟

– على الإطلاق فأنا أكتب بانتظام للمسرح منذ عشرين عاماً وأنجزت خلالها ١٢ عملاً.. ولقد انتهيت مؤخراً من كتابة مسرحية جديدة عنوانها «بلقيس» وستظهر على المسرح القومي قريباً.

● لمن يدين محفوظ عبد الرحمن بالفضل في مشواره الكبير مع الإبداع؟

– أدين بالفضل لأديب مصر الكبير الراحل يحيى حقي والذي اشتهر بتشجيع أصحاب المواهب من الشباب..ولقد كان جاري في مصر الجديدة وأيضاً في العمل حيث كان يرأس إحدى مطبوعات وزارة الثقافة في ذلك الوقت وكان اسمها مجلة المجلة.. وكان تأثيره علي بشكل غير مباشر في شكل حكايات وكلام بعيد عن المواعظ... بالإضافة لاهتمامه الشخصي بي.